فئة السّراق في الحجاز خلال القرن 12هـ/18م

دراسة في العناصر والممارسات

The thief class in Hijaz during the 12th/18th century
a study of elements and practices

الأستاذة الدكتورة نوال بلمداني[1]، جامعة مصطفى اسطمبولي- معسكر (الجزائر)، naouel.belmaddani@univ-mascara.dz
مختبر تاريخ الجزائر، جامعة وهران 1 أحمد بن بلة.

تاريخ الاستلام: 2022/05/11	تاريخ القبول: 2022/07/12	تاريخ النشر:2022/07/31

الملخص:

لم تكن الرحلة إلى منطقة الحجاز خلال القرن 12هـ/18م من أجل المتعة والاستكشاف فقط، بل شكلت بالنسبة لبعض الرحالة الأوروبيين مجالاً للبحث والاستكشاف والتعرف على عالم جديد غير الذي يعيشون فيه، وعند الحديث عن المناطق الاسلامية مشرقاً ومغرباً نلمس طابعاً آخر يتمثل في أداء الركن الخامس من أركان الإسلام، أي الدافع ديني بالدرجة الأولى، ويرافق ذلك طلب العلم والتقرب من المشايخ وأشهر العلماء، هذا إلى جانب الهدف الاقتصادي.

عانى المجتمع الحجازي خلال القرن 12هـ/18م كغيره من المجتمعات الإسلامية من جرم السّرقة، وأخذت العملية أشكالا وحالات متباينة، فهناك نهب الدور والقصور وقطع الطريق ونهب القوافل خاصة الركب الحجي، وقد استعرضت كتب التراجم والرحلات خصوصا الحجية منها عددا كبيرا من الروايات والقصص التي وقعت لأشخاص تعرضوا للسرقة، الأمر الذي دفعهم لقضاء الليل مستيقظين للحراسة، خاصة وأنّ عناصر هذه الفئة (السّراق) كانت لها ممارسات على ضحاياها اختلفت طبيعتها من حالة إلى أخرى، فربما يكتفي السارق بأخذ ما يملكه الشخص كالمال والمتاع والحيوان، إمّا خلسة في الليل الحالك أو شاهرا سلاحه دون أن يلحق الأذى بالشخص، وربما يتعدى الأمر ذلك إلى الخطف وأحيانا أخرى القتل والتعذيب.

كلمات مفتاحية: الحجاز؛ المدينة المنورة؛ مكة المكرمة؛ فئة السراق؛ الأشراف

Abstract :

The trip to El Hijaz region during the 12th century/18 AD wasn't only for fun and exploration, but for some European travellers it was an area for research, exploration and learning about a new world different from the one they live in. When talking about the Islamic regions in the east ans west, we can find another aspect represented in the performing the fifth pillar of Islam means the religions motive in the first place, this is accompanied by seeking knowledge and getting close to the most famous scholars as well as economic goal.

During the 12th century/18AD, El Hijaz society like other Islamic societies suffered from the crime of theft, and the process look different forms and cases, there was looting of houses and palaces, cutting off the road ans also looting caravanes especially.

The books of translations and travels have reviewed a large number of novels and stories that happened to people who were robbed, that's why they spent the night

[1] الأستاذة نوال بلمداني، جامعة مصطفى اسطمبولي- معسكر، naouel.belmaddani@univ-mascara.dz

awake to guard especially since the elements of this category (thieves) had practices on their victims whose nature varied from one case to another, sometimes the thief may be satisfied with taking what a person owns such as money, animals... without harming the person and sometimes he may kidnap or event torture and kill him.

Key words: El Hijaz ; Medina ; Mecca ; the thief class ; Ashraf

مقدمة:

تعد أعمال السّرقة واللصوصية من الجرائم التي حرّمها الدين الإسلامي، وجريمة يعاقب عليها القانون لما يترتب عنها من أضرار وتعطيل للحياة الاقتصادية وتراجع للأوضاع الاجتماعية، وعليه تهدف الدراسة إلى التعريف بفئة اتخذت من السّرقة مصدرا للحصول على الأموال أو على مستحقات أخذت منهم بالقوة، دون مراعاةٍ للمعايير الإنسانية ولا الدينية، ولمناقشة هذه الظاهرة وسلبيتها على الأفراد تم تسليط الضوء على فئة السّراق من خلال موضوع بعنوان "**فئة السّرّاق في الحجاز خلال القرن 12هـ/18م: دراسة في العناصر والممارسات**".

أي سيتم تسليط الضوء على أحد مواضيع التاريخ الاجتماعي بالحجاز، يخص فئة من المجتمع عمّ أذاها مختلف الأفراد بما فيهم الحجاج، وليس من السهل الخوض في مثل هذا الموضوع أو مناقشته بالنسبة لمجال الدراسة، لأنّ الدراسات المتخصصة والتي تم الاطلاع على البعض منها لم تتطرق لهذه الفئة ولا لعناصرها، ومن تم نطرح الاشكالية التالية: ما هي العناصر المحترفة للسرقة؟، وما الأساليب والممارسات المتبعة للإيقاع بالضحايا؟ وكيف تم الحد من هذه التجاوزات؟ وللإجابة عن إشكالية الموضوع تم الاعتماد على المنهج التاريخي الاستقرائي والتحليلي، من خلال جمع النصوص المصدرية وبخاصة المتوفرة ضمن كتب الرحلات واستنطاق مضامينها ثم تحليلها لاستخلاص أهم العناصر التي كوّنت فئة السّرّاق (الجنس والصنف)، وتوضيح خطر ممارساتها على الأفراد، وقد تم الاعتماد وبشكل كبير على عدد من الرحلات المغربية المعاصرة لفترة الدراسة، لأنّها شهادة حيّة لصاحبها وتتضمن تفاصيل لم توفرها المصادر المحلية.

1. مصطلح السّرّاق: دلالات ومرادفات:

أثناء تصفح عدد من المصنفات استوقفتنا بعض المصطلحات التي شملت في مجملها فئة السّراق ومصطلحات أخرى وصفية ذات دلالات: كالمحاربين[1]، أو أهل الفساد[2]، الحرامية المتلصصة[3]، أولي الفساد والظلال[4]، وكذا عبارة أصحاب النفوس الخسيسية[5]، أمّا المصطلحات الأخرى فنذكر منها:

أ- الحراميّة: مفرد حراميّ: اسم منسوب إلى حَرام، فاعل الحرام، ويكثر إطلاقه على اللص. والحراميُّ: اللص لأنه يفعل الحرام[6]. ذكره كل من الورثلاني[7]، والدرعي[8]، وحتى السنجاري[9] وغيرهم.

ب- السّرّاق: السارق هو من جاء مستتراً إلى حرز فأخذ منه ما ليس له[10]، ذكر الدرعي المصطلح فيقول: "والناس يتحامون من القرب من الجبل تقية من أذى السّراق..."[11].

- **اللصوص:** وهم قاطعوا الطريق الخارجون عن القانون[12]، والذين يفترصون الغفلة يأكلون أموال الناس بالباطل ومال السلطان ويصنعون ما شاءوا[13]، أي أنهم يلحقون الأذى بالناس ويأكلون حقوقهم ويمارسون الظلم الاجتماعي[14]، ويقول الورثلاني: "خفنا على انفسنا من متلصصة العرب... "[15].

- **الصعاليك:** صعاليك العرب: فتاكها وذؤبانها[16]، والصعلوك هو الفقير الذي يتخذ من اللصوصية وقطع الطرق وسيلة للكسب بع أن خلعته قبيلته، أو بعد أن خرج على الجماعة، إذاً فهو الفقير الذي لا مال له يستعين به على أعباء الحياة، ولا أحد يتكئ عليه أو يتكل، ليشق طريقه فيها، ويعينه عليها حتى يسلك سبيله كسائر البشر الذين يتعاونون على الحياة، يواجهون مشكلاته يداً واحدة[17]، ذكر الدرعي وجود الصعاليك بمضيق ينبع[18].

2. الحجاج وطريق الحجاز: بين مخاوف الطريق ورغبة الزيارة:

تميزت بلاد الحجاز بمكانة هامة على المستوى الاقتصادي والديني، وهذا ما جعلها منطقة استقطاب هامة لمختلف الأجناس، وهذا التنوع كان له إيجابيات وفي نفس الوقت سلبيات، كظهور فئة السّرّاق، التي كان لها دورا كبيرا في نشر الفوضى داخل المجتمع الحجازي، وكذا تعرضهم للركاب الحجية وبخاصة المغربية منها التي شكلّ أفرادها شهود عيان لما كان يحدث بسبب ممارسات المتلصصة.

يروي الدرعي (1120هـ/ 1709م) صعوبة الطريق قائلا: "كأن الدرب امامه عدوّ لا يرحم، وبحر لا يقتحم، يترقبون مزاولته عند الصباح، ومبادرته بالكفاح، وإنه لكذلك... ووطنوا أنفسهم على مقاساة درب الحجاز وما يبديه من إذلال وإعجاز، إذ فيه تضيق الأخلاق وينحلّ وثاق الاتفاق... ونحن نتوقع تواتر الأذى ونتوق توالي القذا"[19]، وهذا ما كان له وقع كبير على نفسية الحجاج خوفا من الموت قبل أداء الزيارة، حتى الناصري في رحلته الكبرى (1196هـ/ 1782م) يصف الوضع قائلا: "فلله كم لها من قتيل وجريح وسليب! وكم أنفق على وصالها من الأموال والأرواح وهجران حبيب، ... مقدما بين يديه أنواع المخاوف، والمشاق والمعاطب والمثالب...."[20].

كما يكشف الورثلاني ما حدث لحجاجٍ ذهبوا إلى بلاد الحجاز بسَنَةٍ قبلهم، وتعرضوا في طريقهم للأعراب المتلصصة فأذلوهم أشدّ إذلال، مضيفا "قد أصابه خزي وذل حتى أن الإنسان يأخذ بعض ما لهم فلا يستطيع أن يتكلم... أخذوا ركب الحجاج الجزائري والطرابلسي بل اخذوا منهم كيت وكيت من الدراهم ... "[21]، لكن كل تلك المخاوف والصعاب لم تمنع وفود الحجيج من اقتحام درب الحجاز والسير فيه ذهابا وإيابا لأنّ الدافع الديني كان أقوى، والوصول إلى الحبيب المصطفى أغناهم عن كل ذلك.

3. السّرّاق وأماكن تواجدهم:

أ- السّراق على خط سير الركب:

قبل دخول مكة المكرمة أو المدينة المنورة ذكر عدد من الرحّالة المسلمين والأوربيين المعاناة التي أعاقت خط سيرهم قبل الوصول إلى الهدف المنشود، حتى أن خطورة الطريق كانت تحتم الخروج في مجموعات كبيرة مرفقة بحامية وأسلحة من أجل تأمين المسالك، وبخاصة في المناطق الوعرة، ففي 21 محرم 1103هـ/ 1692م "أُخِذت قافلة من طريق جدة، وكان فيها مال عظيم للتجار"[22]، وفرّ السّرّاق بعد ذلك، ويتحدث الرحّالة اليوسي عن تواجد السّراق على الطريق، مؤكدا على أنّ الركب لا يأمن شرّهم حتى يصل إلى المدينة المقصودة، فيحمد الناس الله على سلامتهم ويظهر عليهم الفرح والسرور[23].

حتى أنّ الورثلاني يسمي وادي العقيق[24] بوادي العقوق لكثرة المتلصصة من الأعراب وجرأتهم على الناس بالسرقة[25]، لدرجة أنّ التدابير الأمنية المتخذة لأجل حماية ركاب الحج من حصون وعسكر لم تردع السّرّاق ولم تمنعهم من محاصرة الركب[26]، والتعرض له رشقا بالحجارة أو رميا بالبنادق[27].

ليس من السهل أن يجد الحاج نفسه أمام تضاريس طبيعية صعبة المسالك وكثيرة المخاوف، خاصة وأنّ السّرّاق كانوا يختارون الطريق المتميز بتشابك تضاريسها الجغرافية لوضع الكمائن وسرقة الركب[28]، ولاسيما بالمناطق الجبلية لأنّها تمكنهم من الاختباء والمراقبة، منتهزين الفرصة للهجوم على من انفرد أو تأخر عن رفاقه[29]، مثلما فعل العربان سنة 1117هـ/ 1706م حين خرجوا على رؤوس الجبال مترصدين محمل أمير الحج عند نزوله العقبة[30]، فحاربهم الشريف عبد الكريم[31] آنذاك لمنع ضررهم عن الركب الحجي[32].

ب- السّرّاق بأماكن الزيارة:

*** السّرّاق بمكة:** لا جدال في أنّ مكة هي أمّ الدنيا بحواضرها ومدنها وقراها، لها حرمتها وقداستها، لكن هذا لم يمنع من ارتكاب جرم السّرقة؛ فالسّرّاق بالحرم المكي لم يتورعوا عن السرعة لسرقة الناس[33]، ومنهم من تمركز بالقرب

من باب الشبيكة[34] مكان تواجد خيام الحجاج[35]، ويعبر ابن الطيب عن مخاوفهم قائلا: "وسرنا نؤم البيت الحرام دون تحصيب إذ لم نجد من سهمه لغرضه مصيب، والخوف مانع من ذلك لكثرة اللصوص والحرامية هنالك فتركنا البغلة في الموضع الذي أكتريناه، وتوجهنا للبيت الحرام..."[36].

* **السّرّاق بمنى**[37]: منى موضع أداء مناسك الحج ومبيت الحجاج، وفيها موقع رمي الجمرات والذبح يوم عيد الأضحى، لكن الرعب والدعر منع الحجاج من المبيت بها، وهو ما عبّر عنه الدرعي قائلا: "كان الخوف يمنع من المبيت بمنى بعد ذهاب الأركاب"[38]، مضيفا "... الناس يتحامون في القرب من الجبل تقية من أذى السراق، فيستجير بعضهم من بعض، ويفرون إلى الدخول في غمار الناس، ولا يبالون بما نالهم في ذلك من وطء الأقدام، وتقطيع الحبال، وتعفن الأرجاء، .... ونحن استسهلنا أمر السرقة في جانب هذه المضار"[39]، كما سُرِقَ بتلك المنطقة جماعات كثيرة من الركب الذي كان فيه ابن الطيب[40].

علما أنّ المنطقة جبلية تساعد السّرّاق على الاختباء وسهولة الهروب، خاصة بالنسبة لجبل ثبير[41]، بحيث يلقون الأحجار على الحجاج القريبين منه بغية إرهابهم وإخراجهم من رحالهم، ليتسنى لهم نهبها، لذا كان أكثر الحجاج لا يقتربون من الجبال، ويفضلون البقاء في بسيط منى مجتمعين لتتم إغاثتهم في حالة استطالة اللصوص عليهم[42]، حتى الجعرانة[43] التي كان يتم الاحرام منها للعمرة قديما أصبحت منطقة خطر على الحاج، لكثرة السّرّاق بها، وهذا ما منع الدرعي من الاعتمار بها هو ورفاقه[44]، وعنها يقول الناصري: "وربما أحرم منها اليوم النادر من الناس على خوف من متلصصة الأعراب"[45].

* **السّرّاق بالمدينة المنورة:** تعد المدينة المنورة من أشرف المدن بعد مكة المكرمة، لارتباطها بسيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم، ومنطلق رسالته، غير أنّ الأوضاع تغيرت، والأجناس تنوعت بالمنطقة، فكثرت معهم الجرائم، منها السّرقة، حتى أنّ السكان المحليين كانوا يتخوفون من وجود الغرباء داخل مدينتهم، لأنّ تواجدهم يُكْثِر من عدد السّراق خاصة أثناء موسوم الحج[46]، ويصوّر النابلسي ذلك قائلا: "... قبيلة حرب خرجت من سنةٍ ماضيةٍ عن طاعة الامام، واخذوا ذخائر أهل المدينة من حبوب وزيت وشمع وطعام"[47].

إذن، المعاناة كانت عامة وشاملة حسب ما أفادتنا به مختلف الرحلات المطلع عليها والمدوّنة خلال القرن 12هـ/18م، ولم تكن قداسة الموقع وأهميته الدينية شفيعة له لدى فئة السّراق وبخاصة المشهورين بالحرابة وقطع الطريق، والذين لا تردعهم لا عقوبة ولا قانون، وأرزاقهم في ظلال رماحهم.

4. **أنواع السّرّاق: دراسة في الفئات والعناصر**

لم يكن أخذ أموال الناس بالقوة أو بالحيلة دائما بدافع السّرقة، فاسترجاع المستحقات المالية التي لم تُسَلَّم لأصحابها كانت واحدة من الأسباب المؤدية إلى ذلك، ومن أجل المستحقات اِلتفَ عدد من الأشراف حول الشريف سعيد[48] سنة 1122هـ/ 1710م، وتعرضوا لثلاثة من الجلاب القادمة من اليمن والمحملة بالبن[49]، وهو ما يصوّره السنجاري قائلا: "ان الذي أخذناه من الجلاب محفوظ عندنا، ولنا عند الشريف عدة مشاهرات منقطعة، والقصد أن ترسلوا أحدا من طرفكم وطرف الشريف يحاسبنا على ما هو لنا. فإن زاد شيء مما أخذناه من البن على ما هو لنا فيأخذه، وإن بقي شيء يوفنا حقنا"[50]، فاضطر الشريف عبد الكريم لاستخدام أسلوب التهديد في حالة عدم ارجاع المسروق، وأنّ الأمر سيرفع إلى السلطنة العلية وإبلاغها بما كان لهؤلاء الأشراف من مصادرة لأموال المسلمين[51]، خاصة وأنّ مادة البن كانت من السلع الباهظة الثمن آنذاك.

نفس السبب اخرج عيد الظاهري على السلطة سنة 1171هـ/ 1757م مطالبا بحقوقه المالية والمقدرة ب "ألف غرش باسمه، وخمسة آلاف باسم قبائله"[52]، وعدم حصول العربان على عوائدهم القديمة والجديدة أخرجهم لتعقب

الحجاج سنة 1199هـ/ 1785م فكانت المشقة عظيمة عليهم، ونفس الوضع تكرر سنة 1200هـ/ 1785م فعمّ قتل نحو ثلث الحجيج ونهبت أحمالهم[53].

كما كان جشع بعض الأشراف في تحصيل الإيرادات المقررة للدولة في الحجاز لحسابه، ووضع اليد على الصّرّة السنوية المرسلة إلى الشرفاء وأخذ أموال التجار، سببا لقلب باقي الأشراف عليهم[54]، منها ما وقع سنة 1115هـ/ 1703م من خلاف بين سعيد ابن الشريف سعد وغيره من الأشراف، الذين طالبوه بضرورة ارجاع كلّ ما اخذه، فكان رده: "بل أحاسبهم على جميع ما اخذوه من على الناس من الأموال، وأحسبه من معاليمهم. ولا بد أن ينفكوا من هذا الحلف الذي بينهم...."[55]، فاشتد الخلاف بينهم وهمت الفتنة، ولما اقترب شهر الحج، تدخل الوزير سليمان باشا[56] صاحب جدة باذلاً جهدا كبيرا من أجل تهدئة الوضع وتسكين الفتنة، فكاتب إلى الأشراف من أجل ذلك، ووعدهم بضمان ما هو لهم في الذمة والمال، مقابل حفظ طريق جدة وحفظ سلامة الحجاج حتى يؤدى فرض الزيارة بدون مشاكل أو ضرر[57].

من نافلة القول، عانى الحجاج كثيرا جراء تلك الخلافات، حتى أنّ الحضراوي يُرْجِع سبب ما وقع للحجاج سنة 1200هـ/ 1785م إلى رعونة أمير الحج، قائلا: "لما أراد أن يتوجه إلى المدينة أرسل إلى العرب، فحضر إليه جماعة من أكابرهم، فدفع لهم عوائدهم لمدة سنتين، وقسّط الباقي على سنين مستقبلة بموجب الفرمان، وحجز أربعة أشخاص رهائن،... فبلغ ذلك أصحابهم، فقعدوا للحجاج في الطريق، فبلغ أمير الحج ذلك، فذهب من طريق أخرى، فوجدهم مرابطين فيها أيضا، فقاتلوه قتالا هينا، ففرّ هاربا، وترك الحجاج والعرب، فنهبوا حملته، وقتلوا مماليكه، ولم يبق معه إلا القليل، فهرب من بقي معه، واختفى عند الحجاج ثلاثة أيام، ولم يره أحد، وفعلت العرب في الحجاج ما فعلوه، وأخذوا ما أخذوه، فلم ينج منهم إلا من طال عمره، وسلم نفسه، أو افتداها... وأخذوا المحمل"[58].

عليه، تنوعت فئة السّرّاق لتشمل العناصر التالية:

*** السّرّاق من القبائل:**

شكلت القبائل أخطر فئة السّرّاق في بلاد الحجاز، خاصة المتحررة منها التي لا تقبل الخضوع لأي سلطان، وترى أنّ قوتها في ظلال سيوفها، واتخذت من اللصوصية حرفة للكسب، حتى مواطن استقرارها كانت خارج المجالات العمرانية، وقد خصص لهاته القبائل حصص مالية وكمية من الحبوب سنويا لتجنب خطرها وحماية الركب الحجي.

انتشر الاعراب عبر كافة أراضي منطقة الحجاز، منهم من امتهن كراء ونقل الحجاج[59]، ومنهم من امتهن السرقة[60]، حتى استفحل خطرهم على الحجاج، وهو ما يكشفه اليوسي بقوله: "اعلم أنك يوم ترحل من الدار الحمراء[61] تحتاج إلى حزم وعزم، وما كنت تحتاج إليه قبل ولا بعد، وذلك أن أعراب الأرياف يكون عندهم هذا اليوم مما ينتهزون فيه فرصة الحاج،... فترى الأعراب يغيرون فيما بينهم فينهبون ويجددون ولا يلقاهم أحد"[62]، وعند منطقة النبط[63] يتبع السّرّاق الركب منتظرين فرصة الهجوم، لدى كان الناس دائما حذرين وعلى أهبة الاستعداد لصدّهم"[64].

ومن بين القبائل التي هددت امن وسلامة الأفراد بالحجاز، نذكر: "قبيلة حرب" المعروفة بالحرب وقطع الطريق[65]، ومنها خرج عيد الظاهري شيخا على كافة القبيلة "وعاث بهم في الأرض، وقطع الطرق،... وآذى الحجاج مرات عديدة"[66]، مع العلم أنّ بعض أفراد هذه القبيلة كانت مسؤولة عن وصول الصرة عن طريق حماية الطريق وتقديم خدمات للحجاج أيضا، لكن بعض الإجراءات التي كان يقوم بها أمير مكة المكرمة وحجب الصرة عنهم أو إعطائهم أقل مما هو مخصص لهم كانت سببا في ظهور أزمة كبيرة[67]، كما عرفت مغاير شعيب[68] بخطورتها وكثرت لصوصها، وعُرفِ بنو عطية بالسرقة والاذية[69]، وكانت قبيلة صبح قرب بدر ذات أخلاق سيئة[70]، حتى السنجاري ينقل ما قام به عرب هذيل حين وصلوا إلى منى (محرم سنة 1117هـ/ 1706م) من نهب للأموال، ثم دخلوا مكة وعاثوا فيها بالسرقة والنهب[71]، وبالقرب من عسفان[72] كانت تجتمع جموع من العرب، لا يتركون أحدا إلا قتلوه وأخذوا ماله[73].

*** المعتدون من الأشراف:**

شكّل الأشراف سلطة داخل الحجاز فكثرت بينهم الصراعات والمكائد، مما أثّر بالسلب على المنطقة سواء كان ذلك على عامة المجتمع أأم الغرباء وبخاصة الحجاج، علما أنّ الوضع الاجتماعي لأفراد هذه الفئة لم يكن دافعا أو مبررا لتعديهم على حقوق الغير وسلبها بالقوة.

يُعَدّ الورثلاني شاهد عيان لأحداث وقعت له أثناء رحلته الحجية سنة 1166هـ/ 1753م بمنى، وكان وقتها الشريف مساعد[74] سلطانا، فيقول: "... الأذية والخوف من اللصوص وقد زاد الفساد والظلم والتعدي من الأشراف وغيرهم من أصحابهم فلا يكادون يرجعون عن التعدي بل على أقل شيء يقتلون عليه العبد ولقد قتلوا صاحب أخينا في الله سيدي محمد بن قسوم الريغي على شربه الماء"[75]، والظاهر انّ الأوضاع الأمنية كانت جد مضطربة بسبب الصراعات القائمة بين الأشراف وعملية العزل والتنصيب التي لم تكن في الأوقات المناسبة، وهو ما يفهم من قول سلطان مكة للوثلاني حين دخل عليه في داره بمنى: "ما ضيع الأحكام إلا الأشراف فإن أمرهم قد قوي علي وعلى غيري"[76].

كما تعرضت جماعة من الأشراف سنة 1101هـ/ 1689م وأخذت 500 ناقة تخص الشريف محسن بن الحسين بن زيد[77]، وفي السنة الموالية تفرقت كلمتهم، فخرجوا إلى طريق جدة وغيرها وأكثروا السلب والنهب[78]، وبسبب الخلافات الواقعة بينهم وردًا لحقوقهم المسلوبة نهبت جماعة منهم (سنة 1105هـ/ 1693م) بعض دور الأتراك، ونهب رباط الهندية بسوق الليل وبعض من دور أهل مكة[79].

وبسبب الخلاف الواقع بين عبد الكريم بن محمد بن يعلى والشريف سعيد بن سعد حَوْل المعلوم (أموال)، وقعت مشكلة كبيرة تدخّل الشريف سعد لحلها، إلاّ أنّ سعيد قال: "بل أحاسبهم على جميع ما اخذوه من على الناس من الأموال، وأحسبه من معاليمهم "[80]، واشتد الخلاف بينهم وهمت الفتنة، ولما اقترب شهر الحج، تدخل الوزير سليمان باشا كما سلف الذكر لتهدئة الأوضاع، وكاتب إلى الأشراف من أجل ذلك، ووعدهم بضمان حقوقهم ومستحقاتهم، وشرط عليهم حفظ طريق جدة حتى يتمكن الحجاج من أداء الفرض ولا يفوتهم الوقت، فأمنت السبل وتنقلت القوافل بدون خطر إلى غاية مكة ذهابا وإيابا[81].

لم تقف الأمور عند هذه الهدنة المؤقتة فقد هاجم بعض الأشراف (سنة 1116هـ/ 1705م) قافلة عظيمة وموفورة كانت خارجة من جدة، فقتلوا رجالها ونهبوا أموالها، فبلغ "القتلى من أصحاب القافلة وغيرهم نيف وثلاثين، ولم يسلم إلا من هرب واستجار بعضهم بالأشراف، فسلم من كتبت له السلامة بروحه دون ماله، ورجعوا بالقافلة يسحبون الرماح ..."[82]، وقد وجّه الأشراف أصابيع الاتهام إلى الشريف سعيد على أنّه المسؤول عن ذلك الهجوم.

*** السّراق من الشيالين أو الجمالين:**

لم تنحصر معاناة الركب الحجي بين هجوم القبائل المتلصصة وتعرض الأشراف، بل المعاناة كانت من داخل الركب بسبب الشيّالين والجمّالين وهروبهم بالمركوب محملا، وهذا ما وصفه الورثلاني قائلا: "وهذا كله يرشد إلى ان الزمان قد زاد في الظلم والتعدي نعم الحج قد كاد أن يكون ساقطا من الظلم من الولاة وأصحابهم والعرب والظلم الكبير من الشيالين زادوا في الارتياش للظلم والشكوة"[83]، وكان هو ممن تعرض للسرقة من طرف شيّاله[84].

وتجنبا لمثل هذه المواقف خُصِص بالمدينة ومكة رجالا يعُرْفون بالجمّالين، فمن احتاج الكراء من أرباب الدواب أتى إليهم فيعقدون له الكراء مع صاحبه، ويتكفلون بما عسى أن يصدر من الجمّال من غدر في الطريق بهروب أو مكر[85].

*** السّراق من العبيد والخدم:**

لا يمكن استثناء العبيد والخدم من هذه الفئة؛ ففي المدينة المنورة كان الأغوات يقومون بخدمة المسجد وحجرته الشريفة ولا يدخل معهم إلاّ من رضوا من العبيد، وإن ظهرت من أحدهم الخيانة أو سوء أخلاق أو سرقة أو شيء يشينه نفوه إلى حيث شاء من البلاد[86]، وهذا دليل على أنّ هذه الشريحة كانت تتجرأ على ارتكاب المخالفات، وهو ما رواه الرحّالة

نيبور مشيرا إلى أنّ أحد الخدم سرق لأحد وجهاء جدة أموالا تقدر ب 200 دوكا، فكان النفي عقوبات لجرمه[87]، وربما يُقْدِم العبد على مثل هذا الفعل بتحريض من سيده[88].

*** السّراق من الجند والآغاوات:**

تختلف سرقة الجند عن سرقات سابقيهم، لأنها مرتبطة بحركاتهم العسكرية، وتعد عملية النهب بالنسبة لهم عقوبة للطرف المنهزم، ففي سنة 1105هـ/ 1693م نهبت العسكر منزل الشريف سعد، ونحو عشرة بيوت من بيوت ذوي زيد[89]، وفي سنة 1184هـ/ 1770م جرد الشريف أحمد[90] سرية عسكرية إلى جدة، فاستولوا عليها، ثم هاجم العسكر بيوت التجار ومخازنهم فنهبوها[91].

وربما كان الطمع محرك قوي يدفع إلى ارتكاب جرم السّرقة، مثلما وقع سنة 1119هـ/ 1708م، إذ تم الكشف عن سرقة شمامة عظيمة وغالية الثمن من الحجرة الشريفة، وقد ثبت أنّ المتورطين في العملية أربعة أفراد، اثنان من الأغوات واثنان من المستورين[92]، كما كانت لهم عمليات سلب ونهب أخرى في المدينة المنورة[93]، وعليه لم تكن الحاجة والعوز هي السبب وراء هذا التصرف.

هذه باختصار، العناصر التي مثلت فئة السّرّاق حسب ما توفر من مادة تاريخية تخص القرن 12هـ/ 18م، وقد ضمت فئات من النخبة وأخرى من القبائل، إلى جانبها الغرباء بما فيهم العبيد، وقد افادتنا أحد المصادر بجنسية بعض هؤلاء الغرباء منهم المصري وآخر زنجي[94].

5. فرص ارتكاب جرم السرقة:

*** تأخر الركب الحجي:**

كان الحجاج على دراية تامة بالصعوبات التي ستعترض طريقهم إلى بلاد الحجاز، الأمر الذي دفعهم إلى الاحتراس والبقاء مجتمعين بالقرب من بعضهم البعض، غير أنّ ذلك لم يمنع من لحاق الأذى بهم، فمن الأمثلة الدالة على ذلك تعرض آخر الركب الذي كان فيه الدرعي عند مضيق ينبع[95] للحرامية من الأعراب ورموهم بالرصاص من فوق الجبل[96]، لهذا اضطر اشراف المنطقة إلى الخروج لحراسة الركب من السّرّاق واللصوص[97].

*** سقوط ظلام الليل:**

استغل السّراق الليل للتخّفي وإحداث الهلع في صفوف الحجاج، ويصور الدرعي كثرة الخوف وعظيم الضرر، خاصة مع نزول الليل، فيضطر الناس لاحتراس وأخذ حذرهم، لأنّ السّرّاق يطوفون بالركب ليلا محاصرين له من كل جهة ببندر المويلح، أين سرق لأحد الحجاج أحمال كتان[98]، حتى الحضيكي نُهبت وسرقت له ولرفقته نفقات وأمتعة ليلا[99]، نفس الموقف حدث للناصري خارج رابغ[100] أين سرقت لهم أحمالهم وبضائعهم وهم نيام[101].

*** اختياروقت التزاحم والفوضى داخل الركب:**

حتى يستريح الركب من تعب الطريق ومشاقها يلزمه حط الرحال في أماكن يتوفر فيها الماء والكلأ، وبسبب حجم القافلة وكثرة عدد المسافرين فيها كانت تقع فوضى وهرج كبير، وهذا التوقيت مناسب لمن سولت له نفسه النهب والسرقة[102].

من النصوص الكاشفة عن ذلك ما نقله الورثلاني عن التزاحم والفوضى داخل ركبهم وكيف استغل السّرّاق ذلك، قائلا: "... عند طلوع الفجر وقع الصياح والويل والنهب في الركب فتأخر الأولون وتقدم الآخرون واختلطت الناس فلا تدري المصاب من غيره فإن الركب جيش بلا رأس وذهب بلا تقطير بل كل يسبق الآخر فإنهم في غاية الإهمال والتفريط والافراط في القبح بحيث لا يقبلون نصح أحد ولا يقبلون كلام فاضل أو عالم ولا زجر أمير.... فقد اشتد حمقهم وسفههم فظنوا أن الدرب يقطعونه في مدة قريبة... فكانت عاقبتهم الخسران والأخذ والسلب فدخلنا بعض المحاربين نحو الخمسة عشر فارسا فأخذوا جمالا من وسط الركب وعليها الحوائج والذهب ما لا يعلمه إلا صاحبه..."[103]، وربما كان التهاون في

اتخاذ الاحتياطات الأمنية، من ترتيب الركب وتموقع الرماة بالأماكن الصعبة والوعرة والتي يكثر بها الحرامية، أحد الأسباب التي تعرض الركب إلى السلب والنهب[104].

*** الانفصال عن الركب:**

شكّل تجمع الرِّكاب قوة أمام تحرشات السّرّاق وقطعهم الطريق، لكن كثيراً ما كان الابتعاد عنه سببا في حدوث مأساة، مثلما حدث مع أحد الحجاج المغاربة الذي خرج هو ومن معه بجميع ما بأيديهم من الأموال والدواب من الركب المصري يردون اللحاق بالركب الطرابلسي، غير أنّ هذا الأخير ابتعد كثيرا، في ذاك الوقت وقع السّرّاق عليهم فقتلوا من أصحابه اثنين وجرحوا عشرة، وذهبوا بجميع ما لديهم حتى بعض الابل[105]، وربما تحرك الركب والحاج غارق في نومه لم يتفطن لحركته، وهنا يجد نفسه أمام رحمة اللصوص، ويتم ضربه وسلب كل ما لديه[106].

*** نقص مياه الشرب:**

يعد شح المياه وعدم صلاحيتها للشرب مشكلا كبيرا بالنسبة للحجاج، لأن السّرّاق لم يفوتوا الفرصة لمنع الماء عنهم والهجوم عليهم، وهو ما يكشفه الناصري قائلا: "... فوجدنا جيشهم على الآبار يمنعون الركاب من الماء لما علموا شدة احتياجهم إليه"[107]، حتى عيد الظاهري ورجاله، لما قطعوا الطريق على الحجاج غوّروا المياه، وطمسوا الآبار[108]، أمّا ماء عجرود فلا فائدة منه ولا يغني عن العطش، ويرهق شاربه، وهذا الظرف ساعد السّرّاق على الهجوم والسلب[109].

وإذ لم يتم غلق الآبار ومنع الماء عن الحجاج، كان يتم مراقبتهم وتتبع حركاتهم وبخاصة عندما يبلغ منهم العطش أشدّه، وهنا يدركون أنّ المقاومة لن تكون كبيرة ولن يتمكن الحجاج من الهروب، فتكون عملية الهجوم سهلة بالنسبة لهم.

*** ولوج المناطق الوعرة:**

تتميز منطقة الحجاز بخصائص طبيعية وتضاريسية متنوعة وصعبة، لكثرة مضايقها ووديانها وصعوبة جبالها، وهذا ما سبب الكثير من المعاناة للحجاج، فعند أحد المضايق بالقرب من العقبة يوجد الكثير من الأعراب يستغلون ضيق المسلك للهجوم على الناس[110]، وعن ذلك يقول المكناسي: "وسرنا في بلاد[111] كثيرة الحجارة وقد تقدم أمامنا العسكر بالنهار إلى موضع ضيق بين الجبال، يخشى من العرب أن يتمسكوا به ويمنعوا الركب من السير"[112]، وربما استعانوا بالحجارة والأشجار لغلق الطريق ومحاصرة الركب[113]، ونفس الوصف ينقله الورثلاني ذاكراً ضيق الطريق بين الجبال وصعوبتها وكثرة الأحجار، وكذا السّرّاق[114].

*** تقاعس الأشراف عن تقديم المستحقات المالية:**

لم تتردد القبائل في الحصول على مستحقاتها المالية المتأخرة من الأشراف بالقوة عن طريق تعميم الفوضى والتعرض للركاب الحجية، وزاد الوضع تأزما بسبب الصراعات القائمة بين الأشراف أنفسهم، فكان ذلك دافعا لنهب الأموال من طريق جدة وخليص سنة 1102هـ/ 1690م، وفي سنة 1115هـ/ 1703م نهبت الأموال مع وجود قتلى[115]، ولنفس السبب نهبت العربان الحجّ الشامي بأجمعه بالقرب من ينبع سنة 1170هـ/ 1756م، وأخذ المحمل عن آخره[116].

6. ممارسات السّرّاق:

*** السلب والنهب:**

من أكثر الممارسات انتشارا ترتب عنها التجريد من الأشياء وأخذ المتاع والممتلكات باستخدام القوة وحتى الحيلة، بحيث يكون السّرّاق مجتمعين بأسلحتهم ينتظرون فرصة أو غفلة ليأخذوا ما بدا لهم خلسة ومكرا[117]، وربما سُلِب الحاج حتى من لباسه ليعود للقافلة عاريا[118].

حتى البدو المرافقين لم يرحموا الحجاج، إذ قاموا بسلبهم كل ما يملكون[119]، معتمدين المكر والخداع[120]، ولم تشفع لهم الإتاوة التي كانت تدفع مقابل توفير الحماية؛ فنهب الحجاج وسلبهم لم يكن أمرا نادرا، وربما اختلقت الأسباب

للنهب، وهو ما يؤكده سنوك حين ذكر ادعاء أحد شيوخ البدو بأن المال الذي دفع إليه في العام الماضي كان عملة مزورة، وقد لا يكون هناك أي سبب[121].

يعد أفراد بني عطية المعروفين بالسرقة والأذية نموذجا للقبيلة المحترفة للحرابة وتشددها على الحجاج[122]، وكذا أعراب الحويطات؛ بحيث يذكر الناصري كيف أنهم قاموا بسرقتهم عند خروجهم من المدينة المنورة، ولم يتركوا لهم شيئا، وهذا النوع من الجريمة أفقد أحد الحجاج "ثلاثة عشرة شقة من الكتان، وكان ذلك كل ما يملك"[123].

*** التهديد بالسلاح:**

يعد التهديد بالسلاح وسيلة ترهيب وتخويف للإيقاع بالضحية واستسلامها، وحيازة السّرّاق السلاح لعلمهم بما يحمله الأفراد من أموال ومتاع ذو قيمة؛ فقد استخدم اللصوص البنادق لرمي أول الركب التونسي لتخويف الحجاج ثم نهبهم، وفعلا سلب منهم نحو عشرة من الابل[124].

*** القتل:**

القتل هو إنهاء حياة الشخص، إمّا لسبب ظاهر أو قتل خطأ، وقد عاش الحجاج صراعا نفسيا بما كان ينتظرهم خلال سفرهم في بلاد الحجاز، لكثرة السّرّاق وقطاع الطرق، الذين تعودوا نهبهم وسرقة جمالهم وتجريدهم من متاعهم، مع القتل إذا اضطر الأمر ذلك[125]، دون التميز بين قتل الرجال أو النساء ولا الأطفال[126]، ففي سنة 1100هـ/ 1689م "كثرت القطاع في طريق جدة، وكثرت السرقة، ووقع القتل بها ليلا ونهارا..."[127].

*** الجرح:**

لا يقل تأثيره النفسي عن باقي الممارسات الأخرى، فالشخص المجروح قد يموت بعيدا عن أعين الناس ولا يجد من يرأف به، وأحيانا أخرى تمر ركاب غير ركبه تنقده وتسعفه؛ فالناصري يخبرنا كيف أنهم عثروا في طريق الخروج من مكة على "بعض أهل سوس[128] ممن تقدم من الركاب المغربية مجردا من ثيابه، مجروحا مخضوبا بالدماء، مسلوبا مما معه من البضاعة، زعم أنّه نام خلف الركب فوقع عليه بنو سعد"[129]، حتى في طريق العودة وبعد خروجهم من المدينة المنورة تعرض أحد رفاقهم لهجوم من طرف متلصصة بنو سعيد وقطعوا الحبل الذي يربطه بالركب وقادوا به الجمل وهو نائم وابتعدوا به عن رفاقه، ولما تفطن لهم ضربوه فخر مغشيا عليه، وذهبوا بالجمل وما عليه[130]، فهذا الحاج أُخِذ على حين غفلة من رفاقه، وظلام الليل سهل عملية خطفه، حتى التعب أخذ حقه منه فلم يتفطن للسّراق إلى بعد فوات الأوان وبُعْدِهِ عن الركب.

الملفت للانتباه، أنّ السّراق قد تسللوا داخل الركب دون أن يشعر بهم أحد، وتمكنوا من فك مركوب الحاج دون أن ينتبه لهم باقي الأفراد، وهنا يمكن ان نضيف الخطف كنوع آخر من الممارسات الاجرامية، وندعم الفكرة بوصف بيتس للركب الذي كان فيه قائلا: "أثناء هذه الرحلة تسبب لصوص البدو في المتاعب لبعض الحجاج لتسللهم للقافلة عدة مرات، وذلك أن هؤلاء اللصوص يتقضون على أطراف القافلة ويخطفون، خصوصا الحجاج البعيدين عن بقية زملائهم ليجعلوا منهم خدما أو مساعدين للجمالة"[131].

7. نوع المسروقات:

*** سرقة دواب الركوب:**

كان الحاج يقطع مسافة طويلة يتخلل تضاريس صعبة وخطرة ومسالك وعرة وضيقة أحيانا، وربما كلفه الأمر السير على الأقدام بسب سرقة مركوبه، إذ يكشف بيتس قائلا: "عندما يرى هؤلاء البدو حاجا قد استغرق في النوم فَكُّوا رباط جمله من الأمام ومن الخلف ويقوم أحد اللصوص بقيادة الجمل بعيدا، بينما يكون الحاج نائما فوقه، ويقوم اللص الاخر- في الوقت نفسه- بسحب الجمل التالي ليربطه بجمل آخر بدلا من الجمل المسروق حتى لا يتوقف إذا شرعت القافلة في المسير فتتوقف كل الجمال التي وراءه بطبيعة الحال مما يعني اكتشاف اللصوص"[132].

حتى ركب الرحالة المغربي الناصري هجم عليه السّرّاق بالشرفة ليلا وأخذوا لهم عشرة إبل بحمولتها، مع العلم أن المكان كان محل سرقة واختلاس[133]، كما سرق لأحد الركاب عند مبيتهم بمنى عددا من البغال، وأموال كثيرة، حتى أنهم لم يجدوا ما يسدون به رمقهم[134]، وبسبب سرقة دواب الحجاج اضطر الورثلاني للدخول إلى سلطان مكة في داره بمنى طالبا التدخل لاسترجاعها[135].

*** سرقة الصّرّة:**

الصّرّة هي تلك الأموال المرسلة إلى مكة المكرمة والمدينة سنويا، لتوزع على أشخاص معينين، وفقا لدفاتر خاصة[136]، غير أنّ هذه الأموال كانت سببا في ظهور الخلافات والمشاكل بين العديد من الأطراف، سواء أشراف كانوا أو قبائل الأعراب، ودفع من وراءها الحجاج الثمن غاليا، خاصة وأنّ عمليات النهب والسّرقة التي تعرضوا لها في طريقهم للحجاز كان ردت فعل قام بها شيوخ القبائل وبعض الأشراف لعدم تسلمهم نصيبهم من المعلوم، مثلما حدث سنة 1108هـ/ 1696م أين أخذت أموال الصرة المصرية المخصصة للفقراء من أهل مكة، فحكم القاضي على أمير الحج أن يسلم المال من عنده، والمقدر بأربعين كيسا[137].

*** سرقت سلع التجار:**

تعد السلع جزءً من حمولة الركاب، كانوا ينقلونها معهم للاتجار أو لتسليمها لأصحابها، غير أنّها لم تنجو هي الأخرى من النهب والسرقة، على سبيل المثال حمولة البن القادمة من اليمن والتي تم التعرض لها من قبل بعض الأشراف الذين التفوا على الشريف سعيد، ولاسترجاع الكمية المسروقة تم تجهيز العسكر مرفقين بمدافع، غير أنّ البن المسروق حسب إشارة السنجاري "أخذوه وفرقوه على أشقياء العرب"[138].

*** نهب الدور:**

إلى جانب الحجاج عانى ساكنة الحجاز من عمليات السّرقة وما رافقها من نهب للدور لاسيما داخل مكة والمدينة، خاصة عندما يشتد الصراع بين الأشراف والقبائل، على سبيل المثال لا الحصر ما حدث سنة 1116هـ/ 1705م، حيث "نهبت البيوت، وأخذوا ما وجدوا من نقود وقوت وماعز، وهان من متاع وأثاث... الرفيع والوضيع"[139].

8. التدابير المتخذة للحدّ من ظاهرة السّرقة:

*** حماية الركب الحجي:**

كان للأعمال التي أقدم عليها السّرّاق خلال موسم الحج نتائج سلبية، أدت إلى اضطرابات وخوف الناس الشديد وترقبهم وحذرهم، فأي حركة قد تثير الذعر وتحدث الفوضى، ويعم الاضطراب ويتسارع الناس للخروج من موقع الحدث ناجين بأنفسهم[140]، الأمر الذي دفع بأشراف إمارة ينبع لحراسة الركب من اللصوص، عن طريق الخروج على رأس أميرهم لاستقبال الحجيج[141].

حتى قوة أمير الحج كان لها دور كبير في صد هجمات الأعراب والحد من خطرهم على الركب، من ذلك أمير الحج (1173هـ/ 1760م) "حسين بيك كشكش"، الذي "أخاف العربان، وهابوه، حتى كانوا يخوفون به أطفالهم"[142]، وفي حالات أخرى كُلِّف الرماة للصعود إلى أعلى الوادي لمراقبين الناس حتى يأخذوا حاجتهم من الماء بدون ضرر.

*** ابعاد السّرّاق بقوة السلاح:**

لم يكن الحجاج غافلين عمّا ينتظرهم من مخاطر السّرّاق في الطريق، لهذا كان الركب يخرج محملا بكل ما يحتاجه من لوازم وعتاد على رأسها الأسلحة لمواجهة المخاطر، وقد أشار الناصري إلى حِرْص أمير الحج على حمل الآلات من مدافع لاستخدامها عند الضرورة، وبالفعل استخدمت المدافع والبنادق لحماية الحجاج عند آبار علي[143]، ويؤكد الورثلاني على حملهم للبنادق والسلاح لحماية أنفسهم[144].

*** انشاء مراكز مراقبة:**

لا تكتمل الحماية إلاّ بوجود منشآت كالحصون والقلاع، لذا انشأ بالمويلح "حصن كبير فيه عسكر وأمير"[145]، والجيش السلطاني لا يفارقه[146]، فكان من أقوى الحصون، يضع فيه الحاج متاعه إلى غاية رجوعه من الحج ليتزود بها إلى مصر[147]، ومن الإنجازات التي قام بها الأشراف "قلعة أجياد" التي بناها الشريف سرور سنة 1196هـ/ 1782م في أعلى جبل أجياد[148].

*** قوة الركاب واتحادها:**

يعد الاتحاد أساس القوة والنصرة والنجاح، وبه يمكن القضاء على العدو مهما كانت قوته، إذ يخبرنا الناصري عن هذا التلاحم قائلا: "... أسرعنا بقية يومنا وسائر الليل والنهار بعده لعدم الماء، وعطش الركب لذلك عطشا شديدا، مع ما انظم لذلك من الخوف الشديد من أولئك الظلمة الفجرة أعراب حرب وسكان الجُرَيْدة، فانحرفنا بذلك يمينا لطريق أخرى، إذ قيل: إنهم تحزبوا بجيوش لهم عن يسارنا في مضيق جبلين، فاجتمعت الركاب المغربية مع المصري بعد أن تولى أمير مصر جمعها جبرا عليها، فقدم الطرابلسي لقوته ومنعته وشدته على الأعراب، والسجلماسي والتونسي والجزائري، واما الركب الفاسي فقد دخل في وسط المصري فرتبت الجيوش، وأخرجت الرماة، وانعزل الركبان من خيالة وبغالة، وأخذ الناس أهبتهم للقتال على أنفسهم ومالهم"[149]، كما يكشف الورثلاني أنّ تواجدهم مجتمعين ورفقة الركب الطربلسي القوي مكنهم من التغلب على الخوف والاجتياز بسلام[150].

*** الحملات التأديبية:**

تعد الحملات التأديبية أخف ضرارا على مرتكبي جرم السّرقة، ويمكن ان نقول أنّها تحذير وتنبيه للقبيلة، ولهذا خرج بعض الأشراف (سنة 1102هـ/ 1690م) لمعاقبة اللصوص الجالسين في الطريق بجهة الطائف[151]، فقصدتهم السرية، وأبعدتهم عن الطريق، وأخذوا لهم بعض الغنائم التي ظفروا بها[152]، حتى الشريف سرور عمل على توفير الأمن في طريق الحج عن طريق شنه للعديد من الحملات التأديبية ضد قبائل بني حرب وبني هذيل القاطنين في الجبال بين مكة المكرمة والطائف وغيرها من القبائل المتمردة[153].

*** اتباع نظام المراقبة والعسس:**

يمكن أن ندرج هذا الاجراء في خانة الوظائف الاسلامية العاملة على حفظ الأمن والاستقرار، وهذا ما قام به الشريف سعد لما تفاقم الوضع سنة 1105هـ/ 1693م وتعرضت جماعة السّرّاق لقافلة في طريقها إلى مكة وأخذوا في السرقة والنهب في الطرقات، فخرج بعض الأشراف مع العسكر للعسّ، حتى أنّ الشريف اضطر للخروج بنفسه متخفيا لمراقبة اللصوص[154]، أي جعل من يطوف بالليل بالمدينة ويحرس الناس ويكشف أهل الفساد.

كما تابع "الشريف سرور" العصاة وقطاع الطرق وعاقبهم بأشد العقوبات، وكان يتجسس على اللصوص والمفسدين، ويعس في أكثر لياليه بنفسه رفقة عبيده فلا يترك حارة إلا طرقها ولا عطفة إلا دخلها حتى أرهب العصاة[155]، ولم يتساهل معهم لدرجة تخريب مساكنهم، مثلما حدث مع القبائل القاطنة بين المدينة ومكة بسبب ما أحدثه أهلها من فساد وأذية للحجاج[156]، والرقابة كانت حتى خارج المدينة؛ فالنابلسي يخبرنا كيف أرسل الشريف من يحرس خيمتهم ليلا، إذ مكث العبيد حول خيمتهم إلى طلوع الصباح، حذرا عليهم من هجوم الأعراب[157].

* **معاقبة مرتكب جرم السّرقة:** اتخذت العملية أشكلا وأساليب عدّة ومختلفة، ومن أهمها:

-القتل:

القتل من بين الوسائل المتبعة من أجل ردع القبائل الخارجة عن النظام، والتي شكلت خطرا كبيرا على أرواح الأفراد، ومن هذا المنطلق لم يتردد الشريف سعيد (سنة 1105هـ / 1693م) في قتل الكثير من عرب عنزة، وركزت الرايات

على بيوتهم كما هو في العادة، ونفس الاجراء اتخذ سنة 1116هـ/ 1705م مع حي من عتيبة كان فيهم الحرامية واكثر قطاع الطريق، فقتل رئيسهم ومعه نحو سبعة أنفار عرب عتيبة، ثم طرحوهم في الطريق[158].

وبسبب التعرض للحجاج المتجهين نحو المدينة وتخوفهم وسلبهم، تصدت العساكر سنة 1171هـ/ 1757م لعيد الظاهري وعربانه ووقعت مشادات انتهت بمقتل عيد الظاهري وسبعين نفرا من الحربية، وهو نفس ما أصاب ابنه الذي تجرأ هو ورجاله على الحاق الضرر بالحجيج[159].

الملاحظ مما سبق أنّ عملية القتل جاءت جراء عمليات تأديبية انتهت بمشادات بين الطرفين، قُتِل خلالها شيوخ القبيلة المتلصصة مع عدد من أتباعهم، وحتى يكونوا عبرة لغيرهم، ركزت راية على بيوتهم وفي حالات أخرى طرحوا على الطريق ليراهم الجميع.

- الأسْر:

تم أسر كل من القي القبض عليه من السّرّاق وكتبت له الحياة بعد مقتل رفاقه، مثلما حدث مع بعض رفاق عيد الظاهري[160]، وينقل الورثلاني كيف تم القبض على الشيّال الذي سرق لهم إبلهم وتم أسره من قبل الحجاج[161].

- الكبل بالحديد:

الكبل أكثر وزنا من القيد، ولا يكاد ينهض به السجين حتى يكب على وجهه، فهذا وسيلة من وسائل تعذيب السجين[162]، لهذا كبلا الرجلان اللذان سرقا الشمامة من الحجرة الشريفة بالحديد، وأرسلا إلى شيخ الحرم للنظر في أمرهما[163].

- القصاص:

هو أن يفعل بالجاني مثل ما فعل بالمجني عليه، إما أن يكون في جرائم الاعتداء على النفس، أي في جرائم القتل وهذا هو القصاص في النفس، وإما ان يكون القصاص في الاعتداء على ما دون النفس، كالجرح وقطع الأطراف، وهذا هو القصاص في الجروح وقطع الأطراف، أي القصاص فيما دون النفس[164]، وقد طبق هذا الحكم على اللصوص الذين تم أسرهم بعد مقتل عيد الظاهري وكان القصاص "يوما بيوم في فعلهم بحجاج البلد الأمين، ...لظلمهم وغيهم"[165].

- الشنق:

يتم الشنق عن طريق قطع انفاس الجاني عن تعليقه بحبل حتى الموت[166]، وقد شنق رجلين تعرض لبضائع من خان الهنود التجار بمكة، وشُنِقَ رجل من السّرّاق بمنى سنة 1114هـ/ 1702م ليكون عبرة لغيره من المتلصصة قُطّاع الطريق[167]، من جهته الشريف عبد الكريم أمر بشنق أحد عشر شخصا من عرب هذيل من بني مسعود، حتى يكونوا عبرة لغيرهم، فعلق خمسة منهم في السوق الصغير، واثنين في المسعى عند البزابير، واثنين في المدعى، واثنين في سوق المعلاة[168].

- حز الرأس:

يرى أحد الباحثين أن الفتنة يتم القضاء عليها بقطع الرأس، ومرجعية الرأس في التراث الإنساني عامة تعني العقل المدبر[169]، وقد أفادنا الناصري بمعلومة حول قطع أمير الركب المصري لرؤوس محاربين تعرضوا للركب ورفعها على رماح على قارعة الطريق[170]؛ فهذا النوع من التصفية الجسدية يعد تهديدا ووعيدا للقبائل التي تحاول التعرض للركاب، كما أنها إبراز للقدرة التي يتمتع بها الركب.

- الكي على الوجه:

يعد الكي على الوجه نوع من التذكير لمن خولت له نفس إعادة ارتكاب نفس جرم، من سرقة وقطع طريق أو الحاق الأذى بالأفراد، وهذه الممارسات دفعت بأمير الحج المصري (1200هـ/ 1785م) إلى التعليم على وجه بعض اللصوص من قبيلة حرب، فأمر بكيّهم بمحاوير محماة في خدودهم[171].

إنّ العقوبات المشار إليها تدل على مدى خطورة القبائل المتلصصة التي انتشرت عبر منطقة الحجاز، لاسيما الجبلية منها ومضايق الوديان.

الخاتمة:

- تعد السرقة ظاهرة إجتماعية عرفتها المجتمعات البشرية منذ القدم، ولم يخل منها أي مجتمع إنساني، لتصبح مع الوقت ظاهرة خطيرة تهدد أمن واستقرار الأفراد بمنطقة الحجاز كغيرها من المناطق الإسلامية وغير الإسلامية.

- لم تكن الحاجة والفقر دائما سببًا في ممارسة السلب والنهب، والتعرض لممتلكات الغير، بل هناك دوافع أخرى أكثر خطورة، والمتمثلة في الصراعات القائمة بين الأشراف فيما بينهم، أو بينهم وبين القبائل المتمركزة في المناطق الجبلية والصحراوية، والعاملة على أمن وسلامة الركب حتى يصل إلى المدينة المرغوبة.

- شكلت المستحقات المالية السبب الرئيسي وراء النزاعات وتضارب المصالح بين الأشراف، الأمر الذي دفع بالبعض منهم إلى بدل ما في وسعهم لحفظ الأرواح وانهاء موسم الحج دون مشاكل ولا ضرر، واتخاذ العديد من التدابير الأمنية.

- من خلال الإشارات المصدرية وبخاصة كتب الرحلات المغربية المعتمدة تم الكشف عن الدوافع الكامنة وراء ظهور فئة السّرّاق، وكذا تنوع العناصر المرتكبة لجرم السّرقة، إذ لم تشكل الطبقة الدنيا من المجتمع الشريحة الوحيدة، بل هناك عناصر أخرى منها النخبة والغرباء.

- سجلنا تحفظ المصادر المحلية وحتى الدراسات المرجعية الخوض في مثل هذه المواضيع والاكتفاء ببعض الاشارات، لتشكل الرحلات المغربية أهم المصادر للإجابة عن إشكالية الموضوع، خاصة وأن من كَتَبَ هذا النوع من المصنفات كان شاهد عيان للوضع السائد خلال القرن 12هـ/18م، وعليه لا يمكن كتابة تاريخ منطقة الحجاز ولا الكشف عن الجوانب الخفية من تاريخها الاجتماعي والذهنيات اعتمادا على المصادر المحلية، وإنما يجب الوقوف عند رأي الاخر وما تم كتابته عن تاريخ المنطقة.

الهوامش (الإحالات):

[1] الورثلاني، الحسين بن محمد، الرحلة الورثلانية، ط1، (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، 2008م)، ج2، ص630.

[2] السنجاري، علي بن تاج الدين بن تقي الدين، منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم، تحقيق: جميل عبد الله محمد المصري، د.ط، (مكة المكرمة، جامعة ام القرى، 1998م)، ج5، ص 167.

[3] الدرعي، أبو العباس أحمد بن محمد بن ناصر، الرحلة الناصرية، تحقيق: عبد الحفيظ ملوكي، ط1، (الإمارات، دار السويدي للنشر والتوزيع، 2011م)، ص 610.

[4] النابلسي، عبد الغني إسماعيل، الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز، تقديم وإعداد: أحمد عبد المجيد هريدي، د.ط، (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 986م)، ص 330.

[5] الدرعي، الرحلة الناصرية، ص 360/ الورثلاني، الرحلة الورثلانية، ج1، ص427/ الزياني، أبو القاسم، الترجمانة الكبرى في أخبار المعمورة برا وبحرا، تحقيق: عبد الكريم الفيلالي، د.ط، (الرباط، دار المعرفة للنشر والتوزيع، 1991م)، ص 229.

[6] موقع معجم المعاني الجامع –معجم عربي عربي. تاريخ الدخول (2021/09/04)، على الساعة (23:45).

[7] الورثلاني، الرحلة الورثلانية، ج2، ص613. ينظر نفس الجزء، ص 628.

[8] الدرعي، المصدر السابق، ص 605.

[9] السنجاري، المصدر السابق، ج5، ص 356.

[10] ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل، لسان العرب، د.ط، (بيروت، دار صادر، د/ت)، ج10، ص 155، مادة (سرق).

11 الدرعي، المصدر السابق، ص 381.

[12] بلقاسم بواشرية: "اللصوصية وقطاع الطرق في الأندلس خلال عصري الطوائف والمرابطين"، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، (2017م)، العدد10، ص 280.

[13] ابن عبدون، رسائل في آداب الحسبة والمحتسب، تحقيق: ليفي بروفنسال، (القاهرة، مطبوعات المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، 1955م)، ص 57.

[14] بلقاسم بواشرية، المرجع السابق، ص 281.

[15] الورثلاني، المصدر السابق، ج2، ص633

[16] ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، ط2، (مصر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1970م).

[17] عريب محمد عيد: "الصعاليك بين الذات وقهر المجتمع (دراسة نفسية اجتماعية)"، مجلة الزرقاء للبحوث والدراسات الإنسانية، 2018م، العدد1، ص 82/ عبد العزيز نبوي، دراسات في الأدب الجاهلي، ط2، (مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، (د.م)، 1988م)، ص 243.

[18] الدرعي، المصدر السابق، ص 341.

[19] المصدر نفسه، ص150.

[20] الناصري، أبو عبد الله محمد بن عبد السلام، الرحلة الناصرية الكبرى، ط1، (المملكة المغربية، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 2013م)، ج2، ص501.

[21] الورثلاني، المصدر السابق، ج1، ص431.

[22] السنجاري، المصدر السابق، ج5، ص 141.

[23] اليوسي، محمد العياشي بن الحسن، رحلة اليوسي، تحقيق: أحمد الباهي، د.ط، (تونس، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، 2018م)، ص 160/ الدرعي، الرحلة الناصرية، ص 340.

[24] أودية العقيق في الحجاز: سبعة، عقيق المدينة هو الأشهر والأكثر ذكرا في كتب التاريخ. البلاذي، عاتق بن غيث، معجم معالم الحجاز، ط2، (د.ن، دار مكة للنشر والتوزيع، 2010م)، 1173 وما بعدها.

[24] الورثلاني، المصدر السابق، ج1، ص438.

[25] الدرعي، المصدر السابق، ص 329.

[26] الورثلاني، المصدر السابق، ج1، ص411.

[27] الناصري، المصدر السابق، ج1، ص414.

[28] الورثلاني، المصدر السابق، ج1، ص302

[29] العقبة: مدينة عظيمة على رأس خليج يعرف بإسمها، وظلت العقبة تابعة للحجاز حتى أنشئت دولة الأردن في العقد الثالث من القرن العشرين الميلادي. البلاذي، معجم معالم الحجاز، ص ص 1169- 1170

[30] إسماعيل حقي جارشلي، ترجمة: خليل علي مراد، أشراف مكة المكرمة وأمرائها في العهد العثماني، ط1، (د.ن دار العربية للموسوعات، 2003م)، ص 168.

[31] الشريف عبد الكريم، أصبح أميرا على مكة المكرمة بعد رفض الحكومة تعيين عبد المحسن بن احمد بن زيد، تولى الإمارة ثلاثة مرات، توفي سنة 1131هـ/ 1719م. السنجاري، منائح الكرم، ج5، ص 414- 415/ إسماعيل حقي جارشلي، المرجع السابق، ص ص 167- 168

32 بيتس، جوزيف، رحلة جوزيف بيتس إلى مصر ومكة المكرمة والمدينة المنورة، ترجمة وتحقيق: عبد الرحمن عبد الله الشيخ، (د.ط)، (القاهرة، الهيئة المصرية العامة، 1995م)، ص65.

[33] الشبيكة: حي كبير من أحياء مكة يمتد من المسجد الحرام غربا إلى ربع الحفائر، وشمالا إلى حارة الباب. البلاذي، معجم معالم الحجاز، ص 388- 384.

[34] اليوسي، المصدر السابق، ص144.

[35] الشرقي، محمد الطيب، رحلة ابن الطيب من فاس إلى مكة المكرمة، تحقيق: عارف أحمد عبد الغني، (د.ط)، (دمشق، دار العراب للدراسات والنشر والترجمة، 2014م)، ص 208.

[36] منى: جبل بمكة شهير، ومنى شبه قرية بنيت على ضفتي الوادي النازل من عرفات. الحميري، محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، ط2، (بيروت، مطابع هيدلبرغ، 1984م)، ص551- 552.

[37] الدرعي، المصدر السابق، ص371/ الناصري، المصدر السابق، ج2، ص510

[38] الدرعي، المصدر نفسه، ص381

[39] الشرقي، محمد الطيب، المصدر السابق، ص197- 198/ الورثلاني، المصدر السابق، ج2، ص492

[40] ثبير: هو الجبل الذي يقابل حراء من الجنوب، بينهما طريق الطائف المار بنخلة اليمانية على طول وادي أفاعية، ويشرف على منى من الشمال، وهو أشمخ جبال مكة. البلاذي، معجم معالم الحجاز، ص ص 299- 300/الحميري، الروض المعطار، ص149

[41] الدرعي، المصدر السابق، ص371/ الورثلاني، المصدر السابق ، ج2، ص466.

[42] جعرانة: بئر تقع شمال شرقي مكة في صدر وادي سِرف، الذي يسمى بها هناك، ثم اتخذت عُمرة اقتداء باعتمار الرسول صلى الله عليه وسلم، منها بعد عزوة الطائف. البلاذي، معجم معالم الحجاز، ص358.

[43] الدرعي، المصدر السابق، ص 201- ص 386/ الورثلاني، المصدر السابق، ج2، ص470

[44] الناصري، المصدر السابق، ج1، ص478.

[45] المصدر نفسه، ج2، 608

[46] النابلسي، المصدر السابق، ص323

[47] الشريف سعيد: هو ابن الشريف الكبير الشهير سعد بن زيد، وقد انتخب لإمارة مكة بعد وفاة عمه الشريف أحمد سنة 1110هـ/ 1688م، إسماعيل حقي الجارشلي، أشراف مكة، ص ص 163- 167

[48] السنجاري، المصدر السابق، ج5، ص 490. وهذا البن منه ما هو للتجار والعسكر وغيرهم.

[49] المصدر نفسه، ص 491

[50] نفسه، ص 492.

[51] الحضراوي، أحمد بن محمد بن أحمد بن عبدة، مختصر حسن الصفا والابتهاج في ذرك من ولي إمارة الحج، تحقيق: محمد بن ناصر الخزيم- محمد بن سيد أحمد التمساحي، ط1، (القاهرة، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2006م)، ص 263.

[52] المصدر نفسه، ص 277- ص 280

[53] عارف أحمد عبد الغني، المرجع السابق، ص 372/ إسماعيل حقي جارشلي، المرجع السابق، ص 171

[54] السنجاري، المصدر السابق، ج5، ص 293.

[55] سليمان باشا، الوزير المتولي جدة سنة 1111هـ/ 1699م. السنجاري، المصدر نفسه، ج5، ص 253.

[56] نفسه، ص293-294.

[57] الحضراوي، المصدر السابق، ص 208- 281.

[58] سنوك هورخرونيه، صفحات من تاريخ مكة المكرمة، ترجمة: علي عودة الشيوخ، وآخرون، (د.ط)، (مكة المكرمة، دارة الملك عبد العزيز، 1419هـ)، ج2، ص 314- ص335.

[59] الدرعي، المصدر السابق، ص104/ اليوسي، المصدر السابق، ص160 وغيرها/ سنوك هورخرونيه، المرجع السابق، ج1، ص201.

[60] الدار الحمراء: قرية جنوب غرب الطائف في بلاد بني سعد. البلاذي، المصدر السابق، ص599.

[61] اليوسي، المصدر السابق، ص 161

62 النبط: واد يبن ينبع ووادي الحمض، على 90 كيلا، والواد فيه آبار ماء وبعض ما يحتاجه الحاج، شمال الحوراء على مرحلة. البلاذي، المصدر نفسه، ص 1718.

[63] الدرعي، المصدر السابق، ص 606

[64] النابلسي، المصدر السابق، ص323.

[65] الحضراوي، المصدر السابق، ص 261.

[66] إسماعيل حقي جارشلي، المرجع السابق، ص 110- 111.

[67] مغاير شعيب: هي مدين، وتسمى اليوم "البدع". البلاذي، المصدر السابق، ص 1628.

[68] الدرعي، المصدر السابق، ص ص329-.330

[69] الشرقي، محمد الطيب، المصدر السابق، ص181/ الدرعي، المصدر السابق، ص 350

[70] السنجاري، المصدر السابق، ج5، ص371.

[71] عسفان: بلدة عامرة تقع شمال مكة على 80 كيلا، على المحجّة إلى المدينة، على التقاء وادي فيدة بوادي الصّغو. البلاذي، المصدر السابق، ص ص 1151- 1152

[72] الورثلاني، المصدر السابق، ج2، ص522.

[73] الشريف مساعد بن سعيد، رشح لإمارة مكة بقرار الأغلبية وقد صادقت الحكومة على تعيينه أميرا وارسلت له فرمانا بذلك في 1165هـ/ 1753م، توفي سنة 1184هـ/ 1770م. إسماعيل حقي جارشلي، المرجع السابق، ص ص 180- 185.

[74] الورثلاني، المصدر السابق، ج2، ص 492

[75] المصدر نفسه، ص 493

[76] السنجاري، المصدر السابق، ج5، ص 102. محسن بن الحسين بن زيد ولد بعد 1050هـ المصدر نفسه، ص108 وما بعدها

[77] دحلان، أحمد بن زيني، (خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام، تحقيق: محمد فارس الشيخ، د.ط، (د.م، مطبوعات أرض الحرمين، د.ت)، ص197

[78] المصدر نفسه، ص 202

[79] السنجاري، المصدر السابق، ج5، ص 293.

[80] المصدر نفسه، ص293-294.

[81] نفسه، ص306

[82] الورثلاني، المصدر السابق، ج2، ص521.

[83] المصدر نفسه، ج2، ص616 ينظر أيضا صفحة 493.

[84] نفسه، ص590/ الشريف، محمد بن حسن بن عقيل موسى، المختار من الرحلات الحجازية إلى مكة والمدينة النبوية، ط1، (جدّة: دار الأندلس الخضراء، 2000م)، ج1، ص308-309

[85] الدرعي، المصدر السابق، ص555/ الشريف، المختار من الرحلات الحجازية، ج1، ص320.

[86] نيبور كارستن، رحلة إلى شبه الجزيرة العربية وإلا بلاد أخرى مجاورة لها، ترجمة: عبير المنذر، ط1، (بيروت: مؤسسة الانتشار العربي، 2007م)، ج1، ص 233

[87] السنجاري، المصدر السابق، ج5، ص 167.

[88] المصدر السابق، ص 185/ دحلان، أحمد بن زيني، (خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام، تحقيق: محمد فارس الشيخ، د.ط، (د.م، مطبوعات أرض الحرمين، د.ت)، ص 202

[89] هو أحمد بن سعيد بن زيد، نودي له بالامارة لما دخل مكة في 23 جمادى الثانية 1184م. السباعي، أحمد، تاريخ مكة: دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران، د.ط، (الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، 1999م)، ج2، ص501.

[90] السباعي، أحمد، المرجع نفسه، ص501.

[91] السنجاري، المصدر السابق، ص ص 433- 435

[92] عارف أحمد عبد الغني، تاريخ أمراء المدينة المنورة (1هـ- 1117هـ)، د.ط، (دمشق: دار كنانة للطباعة والنشر والتوزيع)، د/ت، ص 374.

[93] السنجاري، المصدر السابق، ج5، ص 286.

[94] ينبع: واد فحل كثير القرى والعيون والسكان، يقع غرب المدينة المنورة أعلاه وادي بواط الغوري، وروافده من جبلي الأشعر والجرد، ثم ينحدر غربا حتى يدفع في البحر قرب مدينة ينبع البحر. البلاذي، معجم معالم الحجاز، ص 1867 وما بعدها

[95] الدرعي، المصدر السابق، ص 605/ الورثلاني، المصدر السابق، ج1، ص 433.

[96] الحضيكي، أبو عبد الله محمد بن احمد، الرحلة إلى الحجازية، تحقيق: عبد العالي لمدبر، ط1، (الرباط: مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث1، 2011م،) ص 175.

[97] الدرعي، المصدر السابق، ج1، ص329

[98] المصدر نفسه، ص 608 وما بعدها

[99] الحضيكي، المصدر السابق، ص 176.

[100] بلدة حجازية ساحلية بين جدّة وينبع. البلاذي، المصدر السابق، ص 653- 654.

[101] الناصري، المصدر السابق، ج2، ص 571.

[102] المصدر نفسه، ج1، ص 470.

[103] الورثلاني، المصدر السابق، ج2، ص 634

[104] الدرعي، المصدر السابق، ص610.

[105] الناصري، المصدر السابق، ج2، ص 570.

[106] الدرعي، المصدر السابق، ص ص 606- 607

[107] الناصري، المصدر السابق، ج2، ص582- ج1، ص 458

[108] الحضراوي، المصدر السابق، ص 265

[109] الورثلاني، المصدر السابق، ج2، ص637.

[110] المصدر نفسه، ج1، ص 434.

[111] يقصد مدائن صالح.

[112] المكناسي، محمد بن عبد الوهاب، رحلة المكناسي، ط1، (أبو ظبي: دار السويدي للنشر والتوزيع، 2003م،) ص 256.

[113] المصدر السابق، ص 261.

[114] الورثلاني، المصدر السابق، ج2، ص618.

[115] السنجاري، المصدر السابق، ج5، ص 127- ص 292/ دحلان، المصدر السابق، ص ص197- 198

[116] الحضراوي، المصدر السابق، ص ص 250- 260.

[117] الورثلاني، المصدر السابق، ج1، ص 433.

[118] بيتس، جوزيف، المصدر السابق، ص71.

[119] سنوك، المرجع السابق، ج1، ص 154.

[120] الورثلاني، المصدر السابق، ج2، ص629.

[121] سنوك، المرجع السابق، ج1، ص ص153- 154.

[122] الشرقي، محمد الطيب، المصدر السابق، ص235 / الزياني، المصدر السابق، ص221/ الناصري، المصدر السابق، ج1، ص420- ج2، ص 624.

[123] الدرعي، المصدر السابق، ص ص 607- 608.

[124] المصدر نفسه، ص ص606- 609.

[125] بيتس، جوزيف، المصدر السابق، ص71/ الناصري، المصدر السابق، ج1، ص 474

[126] السنجاري، المصدر السابق، ج5، 101.

[127] المصدر نفسه، ص ص 97- 98

[128] سوس مدينة في أقصى بلاد المغرب. الحميري، الروض المعطار، ص ص 329- 330

[129] الناصري، المصدر السابق، ج2، 571.

[130] المصدر السابق، ص581- ص624

[131] بيتس، جوزيف، المصدر السابق، ص71

[132] المصدر نفسه، ص71.

[133] الناصري، المصدر السابق، ج1، ص 421.

[134] الشرقي، محمد الطيب، المصدر السابق، ص198.

[135] الورثلاني، المصدر السابق، ج2، ص492/ الشرقي، محمد الطيب، المصدر نفسه، ص ص199- 200.

[136] عارف أحمد عبد الغني، المرجع السابق، ص 324/ إسماعيل حقي جارشلي، المرجع السابق، ص73.

[137] السنجاري، المصدر السابق، ج5، ص ص 234- 235/ عارف أحمد عبد الغني، المرجع نفسه، ص 372.

[138] السنجاري، المصدر نفسه، ص ص 492- 493

[139] نفسه، ص 347/ السباعي، أحمد، المرجع السابق، ج2، ص463، ص ص 499- 500

[140] عواطف محمد يوسف نواب، كتب الرحلات في المغرب الأقصى مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين: دراسة تحليلية نقدية مقارنة، د.ط، (الرياض: دارة الملك عبد العزيز،2008م)، ص214.

[141] الحضيكي، المصدر السابق، ص97/ الدرعي، المصدر السابق، ص175

[142] حسين بيك كشكش المعروف بالقلزدعلي، كان أميرا للحج سنة 1173هـ وتقلده أربع مرات، آخرها في سنة 1176هـ الحضراوي، مختصر حسن الصفا، ص ص 160- 161.

[143] الناصري، المصدر السابق، ج1، ص396- ج2، ص 582.

[144] الورثلاني، المصدر السابق، ج2، ص637.

[145] الدرعي، المصدر السابق، ج1، ص329.

[146] الناصري، المصدر السابق، ج1، ص 427.

[147] الورثلاني، المصدر السابق، ج1، ص436.

[148] السباعي، أحمد، المصدر السابق المرجع السابق، ج2، ص 508.

[149] الناصري، المصدر السابق، ج2، ص581

[150] الورثلاني، المصدر السابق، ج1، ص431- ج2، ص522.

[151] الطائف، مدينة في السفوح الشرقية لسراة الحجاز، شرق مكة مع ميل يسير إلى الجنوب على 99 كيلا يصلها بمكة طريقان. البلاذي، المصدر السابق، ص ص 1052- 1053.

[152] السنجاري، المصدر السابق، ج5، ص 129.

[153] الشوكاني، محمد بن علي، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د/ط، د/ت، ج2، ص4/ إسماعيل حقي جارشلي، المرجع السابق، ص 191.

[154] دحلان، المصدر السابق، ص 201/ السنجاري، المصدر السابق، ص 166- 167

[155] السباعي، أحمد، المرجع السابق، ج2، ص506/ عارف أحمد عبد الغني، المرجع السابق، ص 392.

[156] المكناسي، المصدر السابق، ص ص 261- 262.

[157] النابلسي، المصدر السابق، ص324.

[158] السنجاري، المصدر السابق، ج5، ص 168.

[159] المصدر نفسه، ص356.

[160] الحضراوي: المصدر السابق، ص ص264- 266.

[161] المصدر نفسه، ص ص264 - 266.

[162] الورثلاني، المصدر السابق، ج2، ص616.

[163] الحداد، حميد، السلطة والعنف في الغرب الإسلامي، ط1، (سوريا: محاكاة للدراسات والنشر والتوزيع، 2011م)، ص129.

[164] السنجاري، المصدر السابق، ص 435.

[165] زيدان، عبد الكريم، القصاص والديات في الشريعة الإسلامية، ط1، (دمشق، مؤسسة الرسالة، 2013م)، ص 23.

[166] الحضراوي، المصدر السابق، ص 266.

[167] الحداد، حميد، المرجع السابق، ص ص 263- 265.

[168] السنجاري، المصدر السابق، ج5، ص 286- ص 349/ السباعي، أحمد، المرجع السابق، ج2، ص 469.

[169] الحداد، حميد، المرجع السابق، ص 267.

[170] الناصري، المصدر السابق، ص 624

[171] بن دحلان، المصدر السابق، ص 292/ السباعي، أحمد، المرجع السابق، ج2، ص 509 .